

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَرَسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ نحمد الله سبحانه وتعالى ونشكره ونؤمن به ونتوكل عليه ونعود به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إله من يهده الله فهو المهتدى ولا مضل له ومن يضل فلا هادي له؛ وشهاد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ مَحَمَّداً عبدَه ورسولَه، اللهم صل وسلام وبارك عليه وعلى آلِه وأصحابِه ومن است بناته واهتدى بهديه إلى

يوم البعث . امين

أما بعد ،فيما عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله عزَّ وجَّه ،إذ هي منهج الصالحين أولى الألباب، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتَهِ وَلَا تَقْوَنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ {آل عمران: 102}.

إخوة الإيمان، هذا هو اللقاء الأول في شهر جمادى الأولى، فاعلموا بارك الله فيكم انه دخل أبو مسلم الخوارج يوما على معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - فقام بين السماطرين فقال :السلام عليك أيها الأجير، فقالوا :مه، فقال معاوية : دعوه فهو أعرف بما يقول، وعليك السلام يا أبا مسلم .ثم وعظه وحثه على العدل. ولم يكن ذلك التابعي اليماني الزاهد - وهو يستعمل لفظ الأجير - متلاعباً بألفاظه أو متطاولاً على قائدته، وإنما كان منطلقاً من التصور الإسلامي الحق لمنزلة الحاكم وعلاقته بالأمة: إنها علاقة الأجير برب العمل .فالآمة هي رب العمل والحاكم أجير لها أنايته لأداء وظيفة الحكم لقاء أجر مادي معلوم، ومكانة معنوية مشروطة، والتزمت معه بعقد اختياري طرفاً : الأمانة والنصح من الحاكم، والطاعة والنصرة من المحكوم . ولما كان الحاكم أجيراً للأمة، كان من المطلوب أن يتصرف بصفتي الأمانة والقوة اللتين امتدحهما القرآن الكريم في الأجير على لسان ابنة شعيب": إن خير من استأجرت القوي الأمين، فبناء على هذا يتذكر موضوع خطبتنا اليوم على : "قلة اجتماع الامانة والقوة في الناس والخلال الإسلامي"

"إخوة الإيمان: أما الأمانة فهي تشمل الصفات الأخلاقية التي تکبح جماح الحاكم، وتكون وازعاً له من نفسه يمنعه من أن يستأثر بالمال والسلطان، أو يؤثر بهما ذويه، أو يسيء استعمالهما أي نوع من الإساءة كان . وأما القوة فهي تشمل الخبرات السياسية والعسكرية والفنية التي تمكنه من الاضطلاع بمهنته على الوجه الأكمل والأصلح للأمة، وهي التي عبر عنها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بـ"الفقه" في قوله: "من سوده قومه على الفقه كان حياة له و لهم، ومن سوده قومه على غير فقهه كان هلاكاً له و لهم".

وقد اشتهر عدد من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باجتماع الأمانة والقوة فيهم، منهم أبو عبيدة عامر بن الجراح - رضي الله عنه - الذي سماه النبي - صلى الله عليه وسلم " - أمين هذه الأمة" ، ووصفه بالأمانة والقوة وهو يوليه صدقات بعض القبائل . ومنهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه" - ففي مسند أحمد بسند جيد عن علي : قيل يا رسول الله من نؤمر بعدك؟ قال : إن تؤمروا أبا بكر تجدوه زاهدا في الدنيا، راغبا في الآخرة . وإن تؤمروا عمر تجدوه قوياً أميناً لا يخاف في الله لومة لائم . وإن تؤمروا علينا - وما أراكم فاعلين - تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الصراط المستقيم. " و منهم عتاب بن أسيد الأموي - رضي الله عنه - الذي ورد فيه من حديث أنس " أن النبي - صلى الله عليه وسلم - استعمل عتاب بن أسيد على مكة، وكان شديداً على المريبلينا على المؤمنين.

افتراق الأمانة والقوة: لكن الأمانة والقوة قلماً تجتمعان في الشخص الواحد، وإذا اجتمعتا فقل أن يكون ذلك بتوازن، وهنا لب الإشكال . قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - تعالى " - اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل، ولهذا كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول "أشكو إلى الله جلد الفاجر وعجز الثقة..." . ولهذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يستعمل خالد بن الوليد على الحرب منذ أسلم مع أنه أحياناً يعمل ما ينكره النبي - صلى الله عليه وسلم - ، حتى أنه مرة رفع يديه إلى السماء، وقال " : اللهم إني أبدأ إليك مما فعل خالد..." . وكان أبوذر - رضي الله عنه - أصلح منه في الأمانة والصدق، ومع هذا قال له النبي - صلى الله عليه وسلم " - يا أبو ذر إني أراك ضعيفاً... لا تأمنن على اثنين، ولا تولين مال يتيم " ففي هذا النص التحليلي يورد ابن تيمية مثالين على عدم التوازن في الأمانة والقوة لدى اثنين من الأكابر : **المثال الأول هو خالد بن الوليد - رضي الله عنه -** الذي غابت عليه صفة القوة، فأحسن الذهي في وصفه بأنه "سيف الله - تعالى - ، وفارس الإسلام، وليث المشاهد" ، لكن قوته الطاغية على أمانته هي التي جعلت النبي - صلى الله عليه وسلم - يستنكر قتله قوماً أظهروا الإسلام، ويتبرأ إلى الله من فعله . وهي التي جعلت عمر يستنكر قتله مالك بن نويرة، ثم يعزله فيما بعد ويقول " : إن في سيف خالد رهقاً . يعلل ابن تيمية ذلك بقوله " لم يكن خالد معانداً للنبي - صلى الله عليه وسلم - ، بل كان مطيناً له، ولكن لم يكن في الفقه والدين منزلة غيره، فخفى عليه حكم هذه القضية . ويقال إنه كان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، وكان ذلك مما حرّكه على قتالهم .

والمثال الثاني هو أبو ذر - رضي الله عنه - ، وقد كان إماماً في الزهد والورع وصدق اللهجة ونقائه السريقة، لكن النبي - صلى الله عليه وسلم - أبى أن يوليه إماراة، وعلل ذلك بضعف أبي ذر الذي يفقده عنصراً من عناصر الكفاءة السياسية بغض النظر عن ورثه الشخصي .

ويورد ابن تيمية مثلاً آخر على عدم التوازن بين الأمانة والقوة، هو ذو النورين أمير المؤمنين عثمان - رضي الله عنه - الذي طفت أمانته على قوته فأنس فيه بعض الطامعين ضعفاً . قال ابن تيمية .. " : وأما عثمان - رضي الله عنه - فإنه بنى على أمر قد استقر قبله بسكينة وحلم وهدى ورحمة وكرم، ولم يكن فيه قوة عمر ولا سياسة، ولا فيه كمال عدله وزهده، فطُمِعَ فيه بعض الطمع، وتوسعوا في الدنيا، وأدخل من أقاربه في الولاية والمال، ودخلت بسبب أقاربه

في الولايات والأموال أمور أنكرت عليه، فتولد من رغبة بعض الناس في الدنيا، وضعف خوفهم من الله، ومن ضعفه هو، وما حصل من أقاربه في الولاية والمال ما أوجب الفتنة حتى قتل مظلوماً شهيداً.

المواة والتكامل: إن عدم اجتماع الأمانة والقوة في أغلب الناس يثير إشكالاً عملياً يمكن التخفيف منه من خلال مبدأي المواة والتكامل. أما المواة فهي إدراك ملابسات المنصب، وصلة ذلك بأشخاص معينين، بغض النظر عن خبراتهم الشخصية. وهو درس يمكن استنباطه من تأمير النبي - صلى الله عليه وسلم - أسامة بن زيد على جيش لقتال الروم، رغم أن أسامة - رضي الله عنه - لم يكن في مستوى كبار المهاجرين والأنصار الموجودين في جيشه من حيث التمرس بالحرب والخبرة بالسياسة. لكن النبي - صلى الله عليه وسلم - أرسله إلى ناحية العدو الذين قتلوا آباء، لما رآه في ذلك من المصلحة. "مصلحة وجود دافع زائد لديه، ينضاف إلى الدافع العام الكامن في نفس كل مؤمن".

ويبدو أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يتطلع إلى هذا الأمر منذ مدة: قال قيس بن حازم: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين بلغه أن الراية صارت إلى خالد في مؤته قال: "فهلا إلى رجل قتل أبوه" يعني أسامة. أما التكامل فهو أن يكون الحاكم صادقاً مع الله ومع الأمة، مدركاً لجوانب القوة والضعف في نفسه، فيبحث في رعيته عمن يستكمل به نقصه، ويتدارك به قصوره، حتى ولو كان الحاكم من أهل الأمانة والقوة لأن التوازن المطلق كمال مطلق، وهو غير متاح للبشر. يشرح شيخ الإسلام ذلك في تحليله لتولية الصديق خالداً وتولية الفاروق أبي عبيدة، فيقول: "إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان شديداً في الله فولي أبو عبيدة لأنه كانلينا، وكان أبو بكرلينا وخالف شديداً على الكفار، فولي اللين الشديد وولي الشديد اللين ليعدل الأمر، وكلاهما فعل ما هو أحب إلى الله - تعالى - في حقه".

وإذا آنس الحاكم من نفسه قوة، أمكنه تولية كل من لديه خبرة مهما يكن مستوى الأمانة عنده ضعيفاً، تأسياً بسنة عمر، إذ "كان عمر بن الخطاب يستعمل من فيه فجور لرجحان المصلحة في عمله، ثم يزيل فجوره بقوته وعدله". إن منطق المواة والتكامل هذا هو الذي دفع الصديق إلى التشكيك بخالد في وقت ارتفاع العرب ورميهم للإسلام عن قوس واحدة، رغم أنه كانت لدى الصديق مأخذ على خالد منها سيفه "المرحق"، وتصرفة في المال، ومخالفته لل الخليفة، إذ "كان خالد إذا صار إليه المال قسمه في أهل الغنائم، ولم يرفع إلى أبي بكر حساباً، وكان فيه تقدم على أبي بكر يفعل أشياء لا يراها أبو بكر. لكن بسالة الرجل وتجربته الحربية لم تكن لتسمح للصديق بعزله وهو يواجه مأزق الردة، إدراكاً منه لرجحان الاعتبارات العسكرية على غيرها يومذاك. ولهذا" حين أشار عليه عمر بعزله قال أبو بكر: " فمن يجزئعني جزاء خالد؟".

الخطبة الثانية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفر له، وننحو بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضلّ له، ومن يضلّ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

عبد الله - إذا كانت دراسة حياة الرعيل الأول تبين الضعف البشري والنقص الفطري من حيث صعوبة اجتماع الأمانة والقوة، واستحاللة اجتماعهما بتوافق مطلق، وكان الواقع الحسي يشهد بعد حكامنا عن مستوى ذلك الرعيل في الصدق مع الله ومع الأمة، فما هو الحل العملي لذلك الإشكال المتمثل في عدم اجتماع الأمانة والقوة غالبا؟ لقد قدم الإسلام أروع حل عملي لذلك، وهو سلطان الأمة الذي يتجسد في مبدأين : الشورى في بناء السلطة، والمشاورة في تسييرها، فالشورى تختار الأمة أقرب الناس اتصافاً بصفتي الأمانة والقوة، ولا يفرض عليها خيار مسبق بالوراثة أو بالغلبة .

وبالمشاورة تستحدث الأمة الحاكم الضعيف، وتلجم الحاكم القوي، وتحتفظ بحقها في عزل أي منهما واستبداله بالأصلح.

ويوم يتحقق هذان المبدأان في حياة المسلمين سيكون ذلك برهاناً على أنهم أسلموا أمرهم لله، ونبذوا المعايير السياسية المستمدّة من الجاهلية الأولى . تلك الجاهلية التي كان شاعرها يفخر بعدم النظر في العواقب، ونبذ المشاورة، والاحتکام إلى منطق القوة:

"إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ** ونكب عن ذكر العواقب جانبها
ولم يستشر في أمره غير نفسه ** ولم يرض إلا قائم السيف أصحابها"

أقول قولي هذا استغفر الله لي ولكلّ ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم الدّعاء : اللهم آمنا في أوطاننا وول علينا خيارنا وأيد بالحق أولياء أمورنا، وحقق الأمان والاستقرار في بلادنا، اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم ونوعذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأصلاح أحوال المسلمين في كل مكان، وادفع عننا الفتنة والشرور وأصلاح لنا ولادة الأمور، واستجب دعاءنا إنك أنت سمّيع الدّعاء.